

إسهامات المكتبات الجزائرية في إحصاء وجرد المخطوطات -المكتبة الوطنية نموذجا-

أ.ة. الفيلالي جازية

طاهري محمد - أ.ة.ة.

الملخص:

تتضمن هذه المداخلة دور المكتبة الجزائرية في إستراتيجية إحصاء المخطوطات عن طريق استعمال أداة الجرد والإحصاء ، وتبيان دور المخطوطات كوثيقة أثرية في استغلالها في البحث العلمي، ناهيك عن دور المكتبة كمؤسسة علمية ثقافية في أرشفة هذه المخطوطات وتحقيقها وتصنيفها ، معتمدة على المكتبة الوطنية الجزائرية نموذجا وأهميتها في الاهتمام بهذا التراث ، ومدى فعاليتها ونجاحها في رصد عدد أكبر من المخطوطات .

Résumé

Cette présentation inclut le rôle de la bibliothèque algérienne dans le respect et la stratégie de fixation des prix manuscrit grâce à l'utilisation de l'inventaire et de l'outil statistique, et de démontrer le rôle de manuscrits documenter archéologique en usage dans la recherche scientifique, pour ne pas mentionner le rôle de la science bibliothèque comme une archive culturelle de ces manuscrits et réalisables et classés, basé sur le modèle Bibliothèque nationale d'Algérie et de son importance un intérêt dans ce patrimoine, et de leur efficacité et de succès dans le suivi d'un plus grand nombre de manuscrits et indexé.

مقدمة:

شهدت في الآونة الأخيرة اهتمام المكتبات الجزائرية بحماية التراث المخطوط من الضياع والاندثار، وفي هذا الإطار وضعت السلطات الوصية إستراتيجية تسيير المخطوط من خلال جمعه، تصنيفه، فهرسته، وتحقيقه، وللوصول إلى هذا المبتغى

فبطبيعة الحال احتاجت إلى جهود كبيرة بوضع مختصين في مختلف المكتبات لأجل التمكن من جرد هذا الموروث، وذلك من خلال حصره وتنظيمه على شكل فهارس وببليوغرافيات، ومن بين هذه المكتبات "المكتبة الوطنية" التي تعتبر إحدى المكتبات الجزائرية التي تُبادر برصد أكبر قدر ممكن من المخطوطات، وهي اليوم في محاولة التكفل به من أجل الحفاظ عليه عن طريق تأمين آليات الحماية بالصيانة والترميم، ووضع قوائم خاصة له، ومن خلال الجهود التي تبذلها في هذا المجال، إرتأينا إلى طرح الموضوع التالي: المكتبة الوطنية: دورها في حماية التراث المخطوط الجزائري؟ وماهي أهم المكتبات التي توصلت إليها المكتبة في القيام بمسح كامل للمخطوطات؟

1. مفهوم المكتبة الوطنية وأهم مهامها:

جاء تعريف المكتبة الوطنية في المادة 1958 من القانون رقم 1958 في 1958 "هي مخازن تذكارية تضم الكتب والوثائق التاريخية والصحف والمطبوعات القديمة، فهي بمثابة الدور القيادي والرئيس لثقافة البلد".¹

وفي عام 1980م تبنت منظمة اليونسكو في مؤتمرها السادس عشر التعريف التالي للمكتبة الوطنية على أنها "مكتبة وطنية تضم الكتب والوثائق التاريخية والصحف والمطبوعات القديمة، ونسخ جميع المطبوعات الهامة التي تنشر في الدولة، والعمل كمكتبة إيداع سواء حسب القانون أو تحت أي ترتيبات أخرى، وتؤدي بجانب ذلك بعض الوظائف الأخرى". إنتاج الببليوجرافيا الوطنية، وحفظ وتحديث مجموعات نموذجية من الوثائق الفكرية الأجنبية يشما ما كتبت الدولة، واقتناء الفهارس الموحدة ونشر الببليوجرافيا الوطنية.²

أما فيما يخص مهام المكتبة الوطنية على العموم فقد أصدرت "المكتبة الوطنية" بعض البرامج المتطورة بالتعاون مع الإتحاد الدولي للمحفوظات، والإتحاد

يُليّ لجمعية المكتبات، والمجلس الدولي للمحفوظات (IADOL)، وغيرها من الهيئات الأخرى مثل هيئة المعلومات الوطنية غيرت من وظيفة المكتبة الوطنية لتتماشى مع طبيعة وتطور خدمات الأبحاث المكتبية في أرجاء دول العالم³ سبيل المثال حتى في كيفية حماية التراث المخطوط، والتي نلخصها فيما يلي:

1. اختيار المخطوطات لشرائها وتسجيلها في السجل العام بعد وضع رقم ترتيبي، وفي نفس الوقت القيام بمجرد مجموعاتها الموجودة لديها.
2. التوثيق المادي والمعلوماتي للمخطوطات.
3. التعريف بها وتبيان أهميتها من خلال إنجاز مقالات ومحاضرات أثناء المشاركة في المؤتمرات والندوات.
4. التوثيق الإلكتروني للمخطوطات باستخدام قواعد البيانات الإلكترونية وإتاحتها إلى الموضوعات الصالحة للدراسة.
5. تزويد الباحثين بالمخطوطات التي يريدون الإطلاع عليها.
6. التوثيق الإلكتروني للمخطوطات⁴.
7. القيام بتربصات ودورات تكوينية للمختصين في دراسة المخطوط لدى مصالحيهم، وتدريبهم على تقنيات الترميم والحفظ.
8. وضع بطاقة رقمية فيها كامل معلومات عن المخطوط.

2. لمحة تاريخية موجزة عن إنشاء المكتبة الوطنية في الجزائر:

تعدّ المكتبة الوطنية الجزائرية المؤسسة الأولى في البلاد التي تُعنى بقضايا الكتاب المخطوط والمطبوع⁵، فقد كان أول تأسيس لهذه المكتبة على يد الفرنسيين، في عهد "المرابطون"، بحيث نصّب "بيروجر" محافظاً على المكتبة الوطنية سنة 1835⁶ في الجزائر العاصمة، إلا أنه أثناء نقله إليها أدى إلى ضياع أغلبها بسبب قلة وسائل النقل بقي منها حوالي 500 مخطوط، وكان أول مقر لها

ببيت عربي يقع بـ "المسجد الكبير" ⁷، ثمّ غيّر مقرّها إلى "المسجد الكبير" في ثكنة خاصة بالإنكشاريين إلى غاية سنة 1848م، بعدها انتقل مقر المكتبة إلى قصر المصطفى في سنة 1862م، فهو يعتبر من أبرز المنشآت المعمارية الإسلامية ذات الطراز الموريسكي، وفي سنة 1958م تمّ افتتاح جزئي للمبنى الذي يُعرف اليوم "بالمسجد الكبير" للدكتور سعدان، والذي مازال إلى يومنا هذا تابعة كملحقة للمكتبة الوطنية، وبقي الحال على ذلك في سياسة جمع أكبر قدر ممكن من المخطوطات والوثائق، إلى أن جاءت فكرة بناء مقرّ المكتبة من قبل وزارة الثقافة ليتمّ تدشينها سنة 1995⁸ وتفتح أبوابها لمختلف فئات المجتمع المدني.

3. جرد مخطوطات المكتبة الوطنية :

بلغ رصيد المخطوطات بالمكتبة الوطنية سنة 2005م إلى ما يقارب 3868 مجلّد يضمّ بين مجموعته مختلف المجالات العلمية، معظمها باللغة العربية إلى جانب اللغات الشرقية الأخرى كالفارسية، التركية، اللاتينية، يعود أقدم مخطوط في المكتبة إلى القرن (3-4)هـ، وهو جزء من القرآن الكريم كتب بخطّ كوفي على جلد غزال⁹ وفي سنة 2011م أصبح يبلغ رصيد المكتبة أزيد من 4200 مجلّد، تمّ تحقيق منه ما يقارب 130 مخطوط، إضافة إلى 60000 نصّ في 2000 مجلّد و 4000 نصّ في 17000 مجلّد و 800 نصّ في 9000 مجلّد و 2500 نصّ في 2000 مجلّد محض¹⁰ و 4413 مخطوط¹¹ للمخطوطات الموجودة بالمكتبة والتي أجريت بفرابر 2014م إلى 4413 مخطوط¹¹ فقط يمكن التنويه إلى أن عملية إحصاء وجرد المخطوط بالمكتبة الوطنية يتمّ إلّا في حالة ضياع رقم مخطوط معيّن أو استلام مجموعة جديدة أو عند إنجاز تقرير حصيلة المكتبة.

4). دورها في تجميع التراث المخطوط بين التحقيق والفهرسة:

يبدو لنا من الوهلة الأولى أنّ قضية الحفاظ على التراث المخطوط من السهل على الباحثين الإهتمام به، لكن في حقيقة الأمر أنّ استراتيجية حمايته من أصعب المشكلات التي تعاني منها مختلف المكتبات في العالم العربي على العموم والمكتبة الجزائرية بالخصوص، وفي هذا الإطار جاءت دراسة المكتبة الوطنية الجزائرية لتمثّل لنا كدراسة حالة في وضع مبادئ تحقيق المخطوط وفهرسته، وبطبيعة الحال لم يكن لها الهين عليها فمنذ الاحتلال الفرنسي وهي تُصارع لأجل الوصول إلى النتائج الإيجابية في بلوغ هدفها.

كان من أهمّ فهارس المخطوطات المكتبة الوطنية في الفترة الاستعمارية فهرس "المخطوطات" الذي تمّ طبعه في باريس سنة 1893¹² في ١٢ مجلد. بجهود من سبقوه في جمع وفهرسة المخطوطات العربية، ويعدّ هذا الفهرس الجزء الثامن عشر لمخطوطات المكتبات الرئيسية وفروعها في العمالات المختلفة، بالنظر أن الجزائر كانت من المخطوطات التي تمّ فهرسها في 1987 مخطوطاً¹³ في جميع العلوم منها القرآن الكريم، الفقه، الحديث، الفلسفة، السياسة، الحساب، الهندسة، وغيرها، ثمّ وردت على المكتبة عن طريق الشراء أو الهدايا، وضمّ حوالي 342 مخطوطاً الذي جاء في مجلدات "المخطوطات"، ثمّ السجل العام للمكتبة الوطنية الذي وضعه "أحمد المصطفى"، إضافة إلى جهود كل من "المصطفى المصطفى" في تكملة هذا السجل، وبقي الحال على فهرسة التراث المخطوط الجزائري بين موظفي المكتبة، وتدخل طلبة الجامعات في إنجاز بحوث على شكل مذكرات التخرج، تخصص علم المخطوطات في "الفهرس الوصفي للمخطوطات التي لم تشملها أدوات الضبط الببليوغرافي في المكتبة الجزائرية"، دون الوصول إلى نتائج مرضية في تعداد فهارس المكتبة الوطنية وضبطها وفق معايير محدّدة، جعلها تبحث عن البديل من خلال

5. إسهامات المكتبات الجزائرية في الحفاظ على المخطوط

كموروث أثري:

لا يخفى على أحد الجهود المبذولة من قبل المكتبات الجزائرية في إطار إرساء دعائم الحفاظ على التراث المخطوط من كل الجوانب من الفهرسة، التحقيق، الرقمنة، والترميم والمعالجة، فهي تساهم في فتح مجال تلاقي الثقافات وتمازجها بين مختلف الفئات الباحثة بغض النظر من داخل البلاد أو خارجها، ومحاولة تقاربها من خلال جمعها لأكبر رصيد ممكن من مخطوطات العالم العربي والوطني في نفس الوقت، ناهيك عن أهمية المخطوط باعتباره مادة أثرية تسمح لنا بدراسة حضارات تاريخية وفهم الحقائق العلمية من خلال ما يتم تحقيقه، وفحصه، لذا يمكن القول بأن المكتبات الجزائرية هي الأداة الأولى وهمة وصل بين هذه المادة والمجتمع المدني في التعريف به، والتنوير بمكوناته، ويمكن أن نبرز أهم المبادرات التي تمت في هذا المجال على سبيل المثال:

1. الإعتناء على سياسة التوعية والتحسيس في التعريف بالتراث المخطوط من خلال تنظيم سلسلة من الزيارات لقسم المخطوطات للإطلاع على مكونات التراث المخطوط، وإقامة النشاطات والتظاهرات العلمية لأجل ذلك والتي بدورها هادفة في ربط العلاقة بين المجتمع بكل شرائحه والتراث.

2. محاولة إجراء جرد لمجموعاتها المخطوطة، من خلال فهرستها، وإثراء مصالحتها المعنية بحماية وتأمين المخطوط، وفق بطاقات تقنية خاصة بكل مكتبة، إضافة إلى وضع بعض استمارات تساعد في ضبط الإجراءات الإدارية مثل استمارة تقييم المطبوعات النادرة، استمارة تقييم المخطوط، استمارة خاصة بطلب تحقيق مخطوط، استمارة أخرى خاصة برقمنة المخطوط، وبطاقة فنية له.

3. المساهمة في التخطيط لتطوير الخدمة المكتبية في سياق نشر معارف مخطوطاتها الموجودة لديها.

- (4). توفير المعدات اللازمة في عمليات الصيانة والترميم للتراث المخطوط من خلال فتح ورشات ومخابر للتصوير، ومخابر الحفظ والتجديد.
- (5). محاولة إعداد رقمنة للمخطوطات باعتبارها أضحت من أحد المتطلبات الحضارية لأي دولة، خاصة أننا نواكب التكنولوجيا الحديثة والعصرنة التي تتوجب عليها وضع مخطوطات رقمية والتعريف بها للعالم الخارجي، وفي نفس الوقت تحمل مهمة الحفظ على المخطوط وتثمينه.

خاتمة:

المكتبات بصفة عامة والمكتبة الوطنية بصفة خاصة كجسد بدون روح إذا لم تكن تحتوي على إنتاج فكري محض يسمح لها بأداء مهامها المنوطة بها، وأن المكتبة الجزائرية دائما تحاول تجسيد هذه الروح على الواقع، والذي تصارعه المكتبة الجزائرية في حفظ التراث المخطوط وتثمينه بإدراة في حفظ التراث المخطوط وتثمينه باعتبارها آلية من آليات المساعدة على ذلك، ومهما قلنا عن المخطوطات فهي لا توفي حقها بسبب الأهمية الكبيرة التي تجسدها في إبراز الهوية الوطنية والثقافية، لذا على الهيئات الوصية إعادة النظر في وضع استراتيجية أكثر وضوحا في التسيير والتوثيق، وفي الحفظ والتثمين، وفي تنظيم فهارس المخطوطات وتحقيقها من خلال تكثيف برامج ودورات تدريبية وندوات علمية للموظفين المختصين بالمكتبة واستغلال تربصاتهم في العمل التطبيقي.

التهميش:

- ¹ - عبد العزيز محمد النهاري، المكتبات الوطنية، تاريخها-مكتباتها-مكتباتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 1994، ص 9.
- ² - أحمد نافع المدادحة، أنواع المكتبات، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011/1432، ص 187.
- ³ - عبد العزيز محمد النهاري، المرجع السابق، ص 11.
- ⁴ - محمد قبيسي، علم التوثيق والحفظ في الوطن العربي، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 1980، ص 123.
- ⁵ - عوفي عبد الكريم، التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، 2018 (20-21)، ص 108.
- ⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ط 5، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 340.
- ⁷ -Gavault (P), Notice bibliothèque-Musée d'Alger, Revue Africain, volume 38, 1894, p241.
- ⁸ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 326-339.
- ⁹ - شهاد الماحستير، معهد علم المكتبات والتوثيق، الجزائر، 1999، ص 31.
- ¹⁰ - يحيى بن محزون حاج احمد، جهود المكتبة الوطنية في حماية وترميم المخطوطات من خلال دورة تكوينية بمخبر الحفظ والتجليد، مجلة رفوف، العدد الثالث، جامعة أدرار، ديسمبر 2013، ص 74.

11- _____ بن يحيى فطومة، رئيسة مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة، بتاريخ

27 فبراير 2014.

12- عوفي عبد الكريم، المرجع السابق، ص108.

13- محمد عبد القادر احمد، المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط، مجلة معهد

الدراسات والبحوث، العدد 18، ص 1392 / 1972